

كلمة صاحب الغبطة والنيافة البطريرك الكرنديال

مامر نصر الله بطرس صفير

لدى افتتاح المؤتمر الأول للبطاركة والمطارنة الكاثوليك في الشرق الأوسط

أصحاب الغبطة والنيافة والسيادة،

أيها الأخوة،

إنا، إذ نفتتح مؤتمرنا هذا، نرفع معكم جميعاً عقولنا وقلوبنا إلى الله الآب في هذه السنة المكرّسة للتعمّق في معنى أبوتّه، لنشكره على هذه النعمة التي جاد بها علينا، وهي أنه أتاح لنا أن نجتمع أخوة بالمسيح يسوع ابنه الحبيب، لنصلي معاً، وتدارس ما علينا أن نتدارسه من شؤون كنائسنا على مختلف الصعد. وإنا نسأله تعالى، بشفاعته سيّدة لبنان، أن يلهمنا روحه القدوس ما علينا أن نعمل في سبيل خير أبنائنا الذين وكلتهم عنايته الإلهية إلى رعايتنا في هذه المنطقة من العالم.

وإنه لواجب علينا أن نتوجّه بعاطفة الشكر الخالص إلى قداسة الحبر الأعظم البابا يوحنا بولس الثاني الذي رعى ولا يزال يرعى كنائسنا، بما عُرف به من محبة أبوية لها ولنا، ولا يمكننا أن ننسى مواقفه المشرفة من أحداث لبنان الذي زاره وزوّده إرشاداً رسولياً جاء خلاصة الجمع الراعوي الذي خصّه به. وإنا نعرب لقداسته عن تقديرنا الكامل لنداءاته المتكرّرة من أجل وضع حدّ لما جرى ويجري في جنوب لبنان، وفلسطين، والعراق. وفي كلّ يوم يقع على أرضها ضحايا، وتسيل دماء، ويهجر أناس آمنون. وإنا نسأل الله، بشفاعته سيّدة لبنان، أن يمنّ على قداسته بالعافية وطول العمر ليتابع رسالته الإنجيلية الإنسانية في سبيل إنصاف المظلومين والمقهورين والمشرّدين على الأرض.

وإنه ليسعدنا أن نرحب بكم جميعاً في لبنان، ونشكر لكم باسم مجلس بطاركة الشرق الكاثوليك، تلبيتكم الدعوة التي وجهت إليكم للمشاركة في هذا المؤتمر. ونشكر خاصة أصحاب النيافة الذين شاوروا، على الرغم من مشاغلهم الكثيرة، أن يكونوا معنا ليمدونا بما لهم من آراء سديدة، وخبرة واسعة اكتسبوها بفضل تفرّسهم بمثل الشؤون التي سنبحثها، ومن خلال اشتراكهم في مثل هذه المؤتمرات. وتسمحون لنا بأن نوجه شكرًا خاصًا إلى صاحب النيافة الكردينال سيلفستريني، رئيس مجمع الكنائس الشرقية، الذي يعنى بشؤون كنائسنا. وإنا نعرب عن خالص امتناننا لجميع رؤساء المجالس الأسقفية الذين أتوا أو انتدبوا من يمثلهم في هذا المؤتمر.

وإنا نقدر كل التقدير المشقة التي تكبدها الذين أتوا من بعيد، ومن بلدان قد لا يسهل السفر منها ليحلّوا فيما بيننا إخوانًا أعزّاء أجلاء في بلد يسعد باستقبالهم، على الرغم من الظروف القاسية التي عاشها، طوال سبع عشرة سنة، ولا تزال تعيشها المنطقة والبلدان التي أتى منها معظم المشاركين في هذا المؤتمر. وهل من حاجة إلى أن نتوقف أمام المآسي التي حدثت ولا تزال تحدث في جنوب لبنان، وفلسطين، والعراق، فيما وسائل الإعلام تنقل وقائعها كل يوم؟

وإن مجمعنا هذا يذكرنا بأيام خاليات كان رعاة الكنيسة يجتمعون فيها في بعض بلدان هذه المنطقة من العالم التي نشأت فيها المسيحية ليتباحثوا في شؤون دينية عقائدية وتنظيمية. ومن بإمكانه أن يتجاهل أورشليم وإنطاكية ونيقيا وأفسس وخلقيدونية والقسطنطينية وما كان فيها من مجامع واجتماعات حدّدت العقيدة الإيمانية، وأضاءت السبيل للأجيال اللاحقة.

أما مؤتمرنا هذا الذي ينعقد، ونحن نطلّ على مشارف الألف الثالث لحيي السيد المسيح إلى العالم، والذي أتخذ شعارًا له كلام السيد المسيح القائل: **أتيت لتكون لهم الحياة، وتكون لهم أوفر** (يوحنا 10/10)، فقد أشارت الوثيقة التي بين أيدينا إلى الضرورات الأربع التي استوجبت عقده، وهي: اللقاء للتعارف، والنظر في ما لكنائسنا من ماض مجيد، وحاضر لا يخلو من مصاعب، والتطلع معًا إلى المستقبل لتكوين رؤية مشتركة نعمل معًا على مواجهتها بإيمان وطيد بالله وبعنايته الإلهية، وثقة بالنفس، وتصميم على المضيّ قدمًا، على الرغم من جميع العقبات، وهي كثيرة.

وإذا كان الله قد أرادنا في هذه البقعة من العالم، فلنكن نشهد له وللقليم الإنجيلية التي تركها لنا، ووكّل إلى كنائسنا أمر نشرها، وهي كنائس لكلّ منها تاريخها، وتراثها، وشهادتها، وقدّيسوها، وشفعاؤها لدى الله. وقد توزّع العديد من أبنائها على صدر المعمورة، والكثيرون من بينهم يجدون مشقة كبيرة للمحافظة على ما لهم من تراث وما يتميزون به من طقوس. وقد أولى الجمع المسكوني الفاتيكانى الثاني الكنائس الشرقية إنتباهاً كبيراً عندما خوّلها السلطة لتدبير شؤونها بحسب أنظمتها الخاصة، لأنها أكثر تطابقاً لأخلاق مؤمنيتها، وأصلح لتوفير الخير للنفوس على ما أشار إليه قداسة الحبر الأعظم البابا يوحنا بولس الثاني في الكلمة التي ألقاها في المقابلة التي دعانا إليها مع إخواننا بطاركة الشرق الكاثوليك الأجلّاء، في التاسع والعشرين من أيلول من السنة الفائتة، وطلب إلينا فيها مساعدة أسقف روما في التفكير في خدمته للوحدة (مجلة التوثيق الكاثوليكى ص 952).

وإنّ كل مساعدة لمؤمنى الكنائس الشرقية على المحافظة على هويتهم الروحية هي غنى للكنيسة جمعاء، ووسيلة لربطهم ببلدانهم التي نرحوا عنها، لكي يمدّوا مَنْ بقي منهم فيها بما يثبتهم في مواقعهم. وليس منا من لا يقدرّ الخسارة الكبيرة التي ستحلّ ليس بالمسيحية وحسب، بل بالإسلام أيضاً وبسائر عباد الله، لا بل بالحضارة الإنسانية، إذا خلت من المسيحيين أرض، وُلد فيها السيد المسيح وعاش ومات وقام.

وإنّا إذ ندعو لمؤتمرنا هذا بالنجاح، ونرحّب بكم جميعاً في بلدنا لبنان المعروف بما يميّزه من عيش مشترك بين مسيحيين ومسلمين، سائلين الله أن يسدّد خطانا جميعاً لما فيه نيل رضاه، وخير كنائسنا ومؤمنيتها وشعوب المنطقة.